يوميات تبحث عن عنوان

بقلم محمد عبد الله الشفيقي

يحيى حقي .

الاثنين ١٧ اكتوبر عام ١٩٦٠

حان الوقت لكي أتكلم عن يحيى حقي ... ان الكثيرين يتكلمون اليوم عنه بعد أن ظلموه كثيرا ، أيام أن كان مديرا لمصلحة الفنون ... ما أكثر الذين تجنوا عليه حينذاك... لا أدري لماذا على وجه التحديد... كل الذي أدريه أن الصحف كانت تكتب عنه لا لتشير الى مناقبه وانما لتسخر من « يا ليل يا عين » ... ومن المسؤولين عن « يا ليل يا عين ».

ذلك الرجل الطيب الذي لم يبق من أمثاله سوى قلة ! ! لا تكلم بأسلوب العامة : ان من الناس « الامرا » ، من « الريحة » ، من « اللي ما عادش منهم كتير » ! الطيبة تسترخي في عينيه ، وعندما يسير فانما يسير في دعة ، وببساطة ، ومعه عصاه ... وليس غيره من يحمل العصا عندنا ـ من الادباء ـ الا توفيق الحكيم فيما أعلم .

واليوم تفرغ يحيى حقي لافكاره ، فاستطاع أن يقرأ ما يريد ، ويكتب الاشياء التي اشتاق الى كتابتها من قديم لولا شواغل مصلحة الفنون . واليوم يمدحه الناس بعد أن كانوا يتصيدون في الماضي أي خطأ يمكن الصاقه به . أذكر أن كمال الملاخ ثار ثورة مضرية عارمة ـ على صفحات احدى الصحف اليومية ـ بحجة أن يحيى حقي كان يحاضر ذات يوم ويهاجم الجيوكندا . أشار كمال الملاخ الى حادثة الرجل الذي قذف لوحة الجيوكندا بحجر وكاد يمزقها ، وأضاف أن يحيى حقي قال ما معناه : يا ريته كان قطعها حتته،هيه دي صوره؟ دا السيت فيها متختخه أوي ... الخ... الخ... وتساءل الملاخ في استنكار : هل يصح أن يصدر مثل هذا الكلام عن مسؤول في مصلحة الفنون ؟ !

ولست متأكدا حتى اليوم مما اذا كان يحيى حقي قد قال هذا الكلام بالفعل أم لم يقله ... ولكن حتى لو كان قاله فما أشك في أن ظرفه ودعابته غلبتا عليه فقال ما قال . وهل يشك أحد في قدرة يحيى حقي على التذوق ؟ لقد حضرت له ندوات كثيرة تحدث فيها عن الموسيقى، والرسم ، والافلام ، وسأظل أتذكر ما قاله عن الفيلم الايطالي « الطريق » الذي قدم في « ندوة الفيلم المختار » . فيلم « الطريق » يرتبط في ذهني دائما باسم يحيى حقي . وهو قد ألف « قنديل أم هاشم » ، و « دماء وطين » و « خليها على الله » . وكتب في تاريخ القصة ، وسمعت أخيرا أنه سينشر كتابا بعنوان « عنتر وجولييت » .

انه من بيئتنا ، من تربة أرضنا ، وفيه دعابتنا ومرارتنا . والى اليوم لم ألتق به ، لم أتحدث معه، وأريد أن يتاح لي هذا اليوم في أقرب وقت .

وهو انسان ، انه يجلس في مكتبه فتتقاطر عليه وفود المحبين له ، والناس الطيبين . دخل عليه أحد كبار الموظفين في مكتبه بدار الكتب يهنئه بعيد الاضحى ، وتعانقا ، وتبادلا القبلات والتهاني . وبكى هذا الموظف الكبير (المعهدة على الراوي) . انها لوحة لا نراها اليوم أبدا .

وذات يوم عرف من الساعي أن زوجته مريضة ، وانها طريحة الفراش في المستشفى . وعرف يحيى حقي من الساعي عنوان المستشفى، ومكان الحجرة والسرير ، وفوجىء الساعي بيحيى حقي في المستشفى يسأل عن زوجته ويغدقها بحنانه .

وحكاية أخرى يرويها هذا الساعي اللطيف . نظف المكتب ذات مره، ثم أنهكه التعب ، وهو يعرف أن يحيى حقي لن يجيء الآن ، فلا بأس اذن من « تعسيله » على الاريكة الوثيرة الموجودة بمكتب يحيى حقي . وتحولت « التعسيلة » الى نعاس ثقيل ، وتحول النعاس الثقيل الى نوم عميق . والذي أتصوره الآن أن يحيى حقي دخل فوجد ساعيه في غرفته وقد راح في سبات عميق وفتح فمه ، وربما أخذ الشخير يتصاعد من الفم المفتوح ، ربما من مقام الدو او الري . واتصور ساعيه وقد أرخى احدى يديه بعيدا عن الاريكة فوصلت الى الارض ، ويده الاخرى مرتاحة الى صدره شبه العاري ، واحدى ساقيه مرفوعة في وضع بهلواني .

ولم يوقظه يحيى حقي ... وتركه حتى استيقظ تلقائيا . وبهت الساعي وطلب منه الصفح والمغفرة ، ولكن يحيى حقي قال له : لا بأس ، ولا تحمل هما ابدا ، وتستطيع أن تكمل نومك اذا كنت في حاجة الى ذلك .

ان حياة وانسانية هذا الاديب قصة أخرى نبيلة تضاف الى قصصه التي تعج باللمسات الانسانية النبيلة .

★

الاثنين ٢١ اكتوبر عام ١٩٦٠ .

صديقي (راشد) خريج قسم الفلسفة مفكر ، وذواقة ، ويرجى منه كل خير في ميدان الانتاج . وهو خير من يتحدث في « شلتنا » العتيدة عن السينما والاخراج وأساليب التصوير والحيل السينمائية والرسوم المتحركة ... الخ ... وهو يترجم عن الفرنسية ، ويقرأ كثيرا ، ويكتب كثيرا .

ولم أكن أعرف أنه يكتب القصص القصيرة أيضا !

زارني اليوم وبعض الصحاب ... وبعد أن « تجاذبنا أطراف الحديث » كما يقولون ، قال : اسمعوا هذه القصة القصيرة ! وأخرج من جيبه بعض الاوراق . تساءلنا في دهشة : هل كتبتها أنت ؟ فقال : وما الغرابة ؟ ... لقد جربت يدي في هذا الميدان ، وكتبت قبل هذه ثلاث قصص قصيرة ، غير أنها لا تخرج عن كونها مجرد تجارب . ولتتحملوا وتلوذوا بالصبر وتسمعوا التجربة الرابعة .

قلنا : على الرحب والسعة . وضاق البعض ولسان حالهم يقول : وهل لدينا وقت لسماع التجارب ؟

وشرع يقرأ قصته ، وكاد البعض يتثاءب ، ربما لان الليل كان قد تقدم بنا . وأحيانا كنا نقطع تسلسل القصة ونناقشه بعض النقاط ، ثم نتطرق الى موضوعات أخرى ليس لها أدنى صلة بالقصة ، فيغضب ويردنا الى الحظيرة مرة أخرى ، حظيرة القصة ! .... وأحيانا كنا نعترض على بعض الكلمات ، وعلى طريقة اختياره للشخصيات ، وعلى ترتيب الاحداث، وعلى منطق القصة ... الخ ... الخ...

وفي النهاية سألني رأيي . قلت له : انها بداية طيبة ، وان عليه ان يستمر ، وان اختياره لهذا الموضوع يعد تجديدا ، فالقصة تحكي حياة سرير ، وما تقلب عليه من أحداث . لفت نظره الى أن السرير ، البطل ، كان يحتاج الى مزيد من الاضواء ، حتى يظل بطلا ، حتى يظل محورا للقصة ، وان بعض الاحداث الاخرى كادت تخفيه وان كانت متصلة به . وأشرت عليه أن يحذف الفقرات الاخيرة اذ لا لزوم لها ، بل ان فيها تفلسفا ليس له مكان في هذه القصة . وعدت مرة أخرى أقول له: لا بأس، انها قصة جميلة جدا ، وهي بداية طيبة ... استمر !

صديق من الجالسين ،،الذي لا نشك في قدرته على التذوق وحساسيته الفائقة ، هاجم القصة هجوما مرا ، وقال انها بداية فاشلة لصديقنا (راشد) . وأخذ الآخرون يتناولون القصة بجرأة ، ويتكلمون

باستاذية . والبعض استحسنها وشجع صاحبنا على الاستمرار، والاسراع الى نشرها اذا كان ذلك ممكنا لكاتب ناشيء .

شكرنا صاحبنا لاننا استمعنا الى قصته حتى النهاية ، وتحملنا رداءتها ، وشجعناه على الاستمرار . وأكد لنا أنه سيحاول الاستفادة من نصائحنا ، وأنه سنيعمد الى تعديل بعض الاخطاء الموجودة في هذه القصة .

وعدنا مرة أخرى نتجاذب أطراف الحديث في مواضيع شتى . وعندما استاذنوا مودعين وقف صاحبنا (راشد) ، صاحب القصة القصيرة ، وقال : اليكم هذه القنبلة ! هذه القصة القصيرة ليست قصتي، ان عنوانها « السرير النحاس » ، وهي للاديب الكبير يحيى حقي، وستنشر في مجموعة قصصية قريبا .

وأبرز لنا الاوراق التي كان يقرأ منها . كانت بخط يد الاستاذ يحيى حقي فعلا ! !

يا للمفاجاة ! ! لقد ضحك علينا كلنا ، لقد وضعنا في تجربة رهيبة جدا وأخذ يتفرج علينا . وبهت الذين ذموا القصة، والذين ذموها يحبون يحيى حقي الحب كله ، فما العمل ! ! .... وارتاح الذين مدحوها ، لانهم لم يتورطوا في شيء . غير ان كشف السر كان قنبلة لنا جميعا .

وكان صديقنا ، صاحب المقلب ، وصديق يحيى حقي الحميم ، يبتسم في شماتة وانتصار . وقال انه ينوي قراءتها أمام كثيرين ، وأنه يهدف من وراء ذلك الى الوصول الى نتائج هامة وهي : مدى تاثرنا ـ في أحكامنا ـ بالاسماء المعروفة ! لو قد قال منذ البداية ان هذه القصة ليحيى حقي لما تثاءبنا ، لما تململنا ، لجلسنا وكأن على رؤوسنا الطير . وعندما ينتهي منها سنظل نتفلسف ونبحث عن مواطن الجمال ، ونفرط في البحث والتنقيب . وربما قلنا أنها تعبر عن فلسفة معينة ، وأنها نقطة تحول من « كذا » الى « كيت » ، وأنها تعالج المشاكل « الفلانية » ... الخ ... الخ ...

ويهدف صاحبنا ايضا الى الوصول الى نقطة اخرى تتشعب من النقطة الاولى وهي : مدى تحاملنا على الاسماء الجديدة . واكد لنا انه لو ذهب بهذه القصة الى ناشر فانه لايضمن ان يقبلها الناشر او يرفضها واغلب الظن انه سيرفضها !!

★

يحيى حقي يتحدث .

الخميس ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٠

الطابق الارضي في « الاتيلييه » يشبه قاعة بوهيمية في فيلم « الاخوة كرامازوف » ، حيث ترقص الراقصة رقصا غجريا وتعزف الات الكمان الريفية عزفا وحشيا ، والغموض يكتنف قاعة في هذا الطابق الارضي ، والجو رهيب في عذوبه ، ولا احد في القاعة وانما موائد صامته تنتظر جالسين بعد ان ودعت جالسين .

السلم يفضي الى الطابق العلوي . السلم يطل على الشارع من خلال زجاج كنائسي او قوطي تشتبك الوانه في عناق سيمفوني وتؤلف لوحة غامضة تتضح معالمها كلما ابتعد المرء عنها .

السلم الكنائسي يفضي الى الطابق العلوي ، والطابق العلوي يقودنا الى قاعة ، والقاعة تحتضن مستمعين ، والمستمعون ينصتون الى يحيى حقي وهو يتكلم عن القصة القصيرة .

والجدران تختفي وراء ستائر من الخيش ، فالقاعة تستقبل دائما لوحات الفنانين ، ولا شيء افضل من الخيش كباكجراوند .

يحيي حقي يتكلم بطيبة وتواضع ، ويتحدث عن خبره ، ويخفي وراء محاضرته الجادة مرح الناس الطيبين « بنوع زمان » ، يلقي بالنكتة المغلفة باللغة النحوية ، ولكنه لا يرضى باللغة النحوية اساسا جامدا للقصة القصيرة .

العمالقة يجلسون في القاعة المغلفة بالخيش ، القاعة التي تؤلف ارضيتها سقف الغرفة البوهيمية في الطابق الارضي . العمالقة ينصتون، منهم الدكتور لويس عوض ، والدكتور محمد مندور ، واخرون ربما اصبحوا عمالقة في يوم من الايام ، منهم الشاعرة ملك عبد العزيز زوجة الدكتور مندور ، والناقد فؤاد دواره والفنان والمترجم رمسيس يونان .

وأناس اخرون لااعرفهم ولكنهم سيصبحون عمالقة في يوم من الايام ... بشيء من الصبر والاستمرار .

الدكتور محمد مندور يمسك بمسبحة ! حبات المسبحة تتساقط الواحدة وراء الاخرى ، وكأنها ستسقط على الارض لولا الحبل الذي يجمع شملها . الحبة تسقط فوق الاخرى في حركة روتينية رتيبة امنة . الدكتور جالس في هدوء واسترخاء واستسلام ظاهري ، وعيناه ناعستان، وكأنه قام لتوه من النوم يسأل : الساعة كام ؟ صوت المسبحة يريح الدكتور مندور ويساعد على انتظام افكاره في صفوف . ولكنه يزعج زوجته الشاعرة ، انها تخشى ان يعكر الصوت صفو الصمت ـ ذلك الصمت الذي يصيخ السمع الى حديث يحيى حقي . صوت الحبات المتساقطة ربما يذكرها بقطرات ماء تسقط بطريقة مزعجة ، مثيره ، من صنبور ينتظر السباك ، والقطرات تسقط في سكون الليل . الشاعرة تهز زوجها بطريقة خفية ، وتشير عليه ان يترك المسبحة الى حين ، الدكتور مندور يفيق من سباته واسترخائه ويضع المسبحة في جيبه .

الكلام الذي يخرج من فم يحيى حقي مثير . وفي القاعة عمالقة وأدباء شباب ومثقفون وانصاف مثقفين . وفي القاعة شاب جاء مع صديقه اضطرارا ، والشاب ضيق الصدر بالمحاضرة ولكنه يتصنع الاستماع. واخر يفهم فقرات ولا يفهم فقرات . واصوات خارج القاعة لاناس يروحون ويجيئون ولا يحسون بجدية التجربة التي يمر بها الحاضرون ويمر بها المحاضر . واصوات ابواق في سيارات مرحة وابواق في سيارات قلقة، تقفز الاصوات من الشارع وتدخل الى القاعة عن طريق النافذة . وصوت بائع ، ومناد للسيارات ، وصرخة طفل ، وسعال رجل محترم يمر من امام القاعة ويتطلع في فضول حائر .

الكلام الذي يخرج من فم يحيى حقي مثير وخطير ، وهي اول محاضرة أسمعها واخرج منها بنقاط كثيرة جدا تصلح كل نقطة فيها لمحاضرة. الرجل يتكلم في سلاسة وعن تجربة ، ويتحدث باسم الفنان ومؤرخ الادب والناقد والانسان ، ولا يهاجم احدا . ان الهجوم عنده يتلخص في عدم التعرض بالدراسة للذين لايعجبونه . وهو يخرج من القصص التي كتبت عندنا بصورة لمجتمعنا : مجتمعنا فقير ، يحب « الخلفة » ، الامهات عندنا يعشقن الولد ، الجالس في الترام اعتاد رؤية الاثداء تخرج من الصدور لتلقم الطفل ، وجوستاف فلوبير كتب من القاهرة رسالة يقول فيها انه لم ير مثل هذا العدد من الاثداء . ومجتمعنا يحب ان يعلم اولاده ، ان يرسلهم الى المدرسة ليتعلموا ويأخذوا « الشهادة » . والمرأة في مجتمعنا مظلومة مضطهدة يتخذها الرجل لنفسه مطية .

ويشير يحيى حقي الى ظهور روايتين ، كمقدمة لادب المرأة في ميدان الرواية الحديثة : كوليت خوري في « ايام معه » ولطيفة الزيات في « الباب المفتوح » .

ويتكلم عن مشكلة اللغة في ادبنا ، وتعسف البعض في المطالبة باستخدام الفصحى لدرجة ان على احمد باكثير ـ عندما طلب منه المسرح تقديم مسرحية بالعامية ـ كتبها بالفصحى واعطاها لصديق ليحولها الى العامية . ويحيى حقي يقف في صف الذين يستخدمون العامية ، ويحبذها في الترجمة ، ولكنه يرى ان نعمان عاشور « زودها حبتين » عندما طالب بترجمة مسرحيات شيكسبير باللغة العامية .

ويطلب من الادباء الناشئين الا يهتموا بتجويد كتاباتهم قدر اهتمامهم بتجويد ملكاتهم الحسية اولا . افتحوا عيونكم جيدا وتفرجوا على هذا العالم . وافتحوا آذانكم واسمعوا مايقال . وانفعلوا ،واستخدموا عقولكم وقلوبكم .

ويكتشف ان مستوى القصص القصيرة المقدمة في مسابقة نادي القصة هو اقل من جيد ، وشاب في حفل توزيع الجوائز في المسابقة يشكو اليه من انه لايجد مايثيره ويجعله يعبر عنه .

ويعجب يحيى حقي بنجيب محفوظ الاعجاب كله ، ويرشحه لجائزة نوبل !! ويؤكد ان الروائي الكبير اسعده الحظ بالذهاب الى كلية الاداب قسم فلسفة ، فعندما كتب رواياته كانت تقف وراءها فلسفة عميقة .

ويشير الى الشكل في القصة القصيرة .. ان القصة القصيرة في شكلها الحديث ، تشبه القطعة الموسيقية .

المحاضرة تنتهي ، ويحيى حقي يطوي اوراقه ، والجمهور يصفق ، والدكتور محمد مندور ينظر الى المحاضر في استرخاء ، وينسى ان يصفق ولكن زوجته تصفق ، وربما تذكره ، بحركة من يدها ، ان المحاضر انتهى، وان الناس يصفقون ... واخيرا يصفق .

همهمات خفيفة .. وسعال .. وتحيات يتبادلها الاصدقاء من بعيد لبعيد .. ويقف الدكتور لويس عوض ليشكر الاستاذ يحيى حقي . أوه ... من زمان لم نر الدكتور لويس عوض ، هذا العبقري ! ويشكر المحاضر، ويعدد مناقب المحاضرة ، ويلتفت الينا : هل هناك اية أسئلة ؟ ويلتفت كل واحد منا الى الاخر ، ويتوقع كل واحد منا ان يقف شخص ويسأل . ولكن ، لا احد يسأل .

احسسنا بالشبع . ولم يوقع المحاضر الحيرة في قلوبنا . وقد حل لنا كل المشاكل . ولم يترك لنا مانسأل فيه . ونصفق مرة اخرى ،ونخرج، ونهبط على درجات السلم الذي يطل على الشارع من خلال زجاج كنائسي او قوطي تشتبك الوانه في عناق سيمفوني وتؤلف لوحة غامضة تتضح كلما ابتعد المرء عنها .

*

يحيى حقي والزمن .

الاحد ٧ يناير عام ١٩٦٢

هذه الليلة تذكرت مبلغ الالام التي قد يعاني منها الفنان في خريف حياته . ان الفنان الذي يعيش خريف حياته يعاصر جيلا جديدا من الفنانين الذين قد يتمردون عليه وينظرون الى فنه نظرتهم الى شيء عتيق ، شيء رجعي ! فاذا كان فناننا العجوز مغرورا فانه سيرميهم بالتفاهة والسفه وسيقول انهم يتصرفون بطريقة صبيانية . اما اذا كان متواضعا فانه سيتألم في صمت ، وسيقرأ ـ خفية ـ انتاج الصغار ، وفي كثير من الحالات لن يفهمه !

أكاد استثني من هذه الحالة اديبنا الكبير الاستاذ يحيى حقي . انه شاب في مشاعره ونظرته الى الحياة ، ومن اجل ذلك نجح في تذوق ادب ابنائه . وهو يتعاطف مع الادباء الشبان ويشجعهم في صدق .

*

واخيرا في بيته !

الاحد ٧ يناير عام ١٩٦٢

لاباس من ان اتكلم عن يحيى حقي مرة اخرى . لست ادري ... ربما تكلمت عنه مرات ومرات ،صدقوني : انه يستحق ذلك .

رأيت يحيى حقي لاول مرة في « ندوة الفيلم المختار » التي كانت مصلحة الفنون « التابعة آنذاك لوزارة الثقافة والارشاد القومي » تنظمها. وكان الغرض من هذه الندوة تقديم فيلم اجنبي او محلي ممتاز كل يوم خميس ، وعرضه على الجمهور بأجر زهيد ، ثم مناقشة الفيلم مناقشة تفصيلية بعد العرض . وكان الفيلم الذي يعرض في تلك الليلة التي لانساها هو فيلم « الطريق La Strada » الايطالي .

ووقف يحيى حقي عقب انتهاء الفيلم يتحدث عنه ، ويدلي بخواطر دقيقة مرهفة . وأحسست بسعادة ، هاأنذا اجلس امام الرجل الذي لم اكد ارى صورته الا في الجرائد والمجلات . كان الانطباع الاول الذي تركه وجهه في نفسي هو احساس بالطيبة والوداعة . ان وجه يحيى حقي وجه رجل طيب ، امين ، نزيه ، مسالم . وجه يحيى حقي وجه رجل وديع .

غير ان هناك اناسا مسالمين وامناء ولكن في تعنت وكآبة . لا يمكن ان نضع يحيى حقي في هذه القائمة .. مستحيل .. انه ينثر الدعابة في كلامه الجاد مثلما تنثر ست البيت حبات الفلفل في طعام تم طهيه بعناية .. ورايته بعد ذلك في ندوات كثيرة ، ندوات سينمائية وندوات موسيقية ، وندوات ادبية .

وفي العام الماضي فقط ، عام ١٩٦١ ، وبعد مضي سنوات عديدة على انطباعاتي الاولى ، كنت ادق جرس شقته في محطة روكسي ... ولم اكن اصدق نفسي ! اخيرا أزور اديبنا في بيته .. بالتواضعه .. ذلك التواضع الذي جعله يرحب بي في حرارة عندما أفضيت له برغبتي في ان اجلس معه لحظات .

وانا ادق جرس الباب كنت اعد نفسي للسؤال التالي : البيه موجود؟ ولكن لم يفتح لي الباب عبد أبنوسي ، وانما فتحه حقي نفسه ، وكان يرتدي جلبابا أبيض اللون . يا للروعة ! انه يطبق البساطة في حياته مثلما يطبقها في فنه .. البساطة والصدق وعدم التكلف ... وتقدمني الى حجرة مكتبه .. لن نجلس في حجرة الصالون .. جميل جدا .. افضل الجلوس في معمله . ان معمل أي فنان هو السر الذي يتشوق محبو الفن الى اكتشافه .

انت رائع يا يحيى حقي . حجرة المكتب بسيطة للغاية ، ليس فيها افتعال او تكلف او تنميق . المكتب منزو في ركن ، ووراءه مكتبة بسيطة تناثرت فيها الكتب بغير نظام . والمكتب نفسه يختفي تحت اوراق كثيرة وقواميس وكتب وكراسات واقلام . وثمة مقاعد متناثرة ،مقاعد طيبة هادئة تستريح الى الارض في غير تكلف .

والشمس تتسلل الى الحجرة في طمأنينة وألفة !

سأكون صادقا امام نفسي .. في الوقت الذي اعجبت فيه ببساطة الحجرة أحسست بدهشة طاغية وظللت لحظات صامتا حائرا .. مرجع الدهشة والصمت انني لم اكن اتخيل ان تكون حجرة يحيى حقي على هذا النحو . أهكذا يعيش الادباء .

واحسست بالخجل بيني وبين نفسي ، بالخجل من غروري ،والاحلام التي كنت أرسمها لنفسي وأتصور فيها حجرة مكتبي عندما تتوفر لدي الامكانيات المادية والابداعية . قبل ان أزور يحيى حقي كانت صورة مكتبي في المستقبل تحتل حيزا كبيرا من احلامي . الحجرة جميلة مربعة، تطل على منظر طبيعي . وحائط في الحجرة تتوسطه نافذة كبيرة جدا أسدلت عليه ستائر شفافة حالمة . وقنديل من البندقية « لماذا من البندقية بالذات ؟ » يتدلى من السقف والارائك الوثيرة ذات اللون الرمادي الداكن تحتل جانبا اخر من الحجرة . وديكور غريب ـ صممته في ذهني ـ يتدلى من السقف ، عند احد الاركان . الديكور يتألف من شبكة صيد ، شبكة صيد منسية خاضت البحار للسعي وراء الرزق ثم استراحت عندي . تتدلى الشبكة في اهمال وقد بسطت احد اذرعها على الحائط ، وبجانبها قنديل يضاء بالبترول ، معلق في بساطة ، زجاجه قابع وراء سياج معدني متشابك الخطوط .

والمكتبة انيقة جدا ، وجميع الكتب مجلدة ، والمكتب من خشب الماهوجني ولكنه بدون ادراج . لست احب مكتبا بأدراج . مافائدتها ؟ الكتب توضع في المكتبة والاقلام في فازه صغيرة على المكتب والنقود في الجيب والاوراق التي اكتب فيها داخل دوسيه وليست هناك اسرار اغلق عليها الادراج . ثم ان الادراج تشوش ذهني لحظة الكتابة ، وانا حين اكتب احب المكتب خاليا من كل شيء ، ليس عليه سوى الورقة التي اكتب فيها .

وسجادة انيقة تتوسط الحجرة .. سجادة من لون واحد ، وثيرة توحي بالدفء والكسل .. و .. و .

وافقت من خواطري على صوت يحيى حقي يرحب بي في الحجرة البسيطة بساطة قصصه . وخجلت من نفسي .. انا متحذلق .. انا انتحل المعاذير .. هل المكتب الفخم والمكتبة الرائعة هما اللتان سيكتبان لي ؟ ان الفنان الاصيل يكتب في أي مكان طالما ان الابداع يواتيه ، طالما ان ابداعه غزير غزارة الشلال . ألا يسجل بعض الفنانين ارهاصات ابداعهم على علب السجائر او في قصاصات ورق قذره ؟

سألني عن دراساتي وعملي وسني واحلامي ، سألني في اهتمام وعطف ابوي ، وعندما عرف انني اترجم أكد لي ضرورة الاهتمام بالقواميس لا القواميس الافرنجية فقط ، وانما معاجم اللغة العربية ايضا ، لكي انجح في اختيار الكلمة الصحيحة ولا اقع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرون من المترجمين ممن يجيدون اللغة الاجنبية التي ينقلون منها ،غير انهم لايجيدون العربية .

ونهض ـ وما اكثر مانهض اثناء جلستنا ـ واتجه الى المكتب وانتشل من بين الكومة المبعثرة كتاب « المعجم الوسيط » الذي اعده ونشره المجمع اللغوي . وتحدث عنه ، وعن فائدته ، خاصة وانه ظهر حديثا . ولمحت قصاصة عريضة سمراء في اول الكتاب ، مكتوبة بخط يده ، وحاولت ان اقرأ بعض سطورها . كان يتحدث في هذه السطور عن « المعجم الوسيط » ، ويجمع بعض الحقائق ، ويدلي بخواطره ورأيه فيه . شيء جميل ان ترى اصول كاتب ،انك أشبه بمن يتعرف على خبر لم يذع بعد.

يبدو ان يحيى حقي يكتب دائما في قصاصات عريضة سمراء كهذه ، وبالقلم الحبر ، وبتواضع . والمحاضرة التي كان يلقيها في « الاتيلييه » نقاطها كانت مدونة في قصاصات عريضة سمراء . وقلت له ، في تعثر ، انني اخشى ان اضيع وقته ، خاصة وان وقته ثمين .فأكد لي انني لم اضيع وقته ، وانه كان يترجم قبل حضوري ، ومنذ ساعة مبكرة من الصباح .

آه .. الترجمة مرة اخرى !

مسرحية ... لترلينك .. وهو يترجمها الى العربية ، عن النص الفرنسي ، ولكنه فتش ايضا على الترجمة الانجليزية الى ان عثر عليها. وهو يضع النص الفرنسي والنص الانجليزي امامه ويترجم ويقارن ،ويتأمل الفروق والمغالطات مليا . ويخرج في النهاية بترجمة يتوخى فيها الامانة والجمع بين الحسنيين ، بين احسن مافي النص الفرنسي واحسن مافي النص الانجليزي .

تعرض في النص الفرنسي لمناجاة موجهة لليل ، والمناجاة تخاطب الليل كما لو كانت تخاطب انثى . ووقف يحيى حقي عند هذه المناجاة طويلا ، كيف ينقلها الى العربية والليل في العربية مذكر والمناجاة تستمر في النص الفرنسي وتصف الليل صفات انثوية ؟ وقرر يحيى حقي ان يترجم الليل الى : حلكة الليل ! وارتاحت المناجاة العربية الى هذا القرار الحاسم واشتدت : يا حلكة الليل .. ايتها الالهة التي ..الخ..الخ

واقبلت زوجته الاجنبية الفنانة ، وقدمني لها بالفرنسية ، وكانت في صبيحة هذا اليوم تقوم بدور ست البيت بعد ان رأيتها في دور الفنانة في المعرض الذي اشتركت فيه ببعض الاعمال الفنية المصنوعة من الفخار . كانت اعمالها مثار الاعجاب . واذكر انني التقيت بالاستاذ يحيى حقي في هذا المعرض ، وطاف بنا في الركن الخاص بزوجته ، ووقفنا طويلا امام سبعة نماذج تمثل الخطايا السبع . ياللروعة ! كيف عبرت عن الخطايا بالنماذج الفخارية الجمدة ؟ كيف صورت الحسد مثلا ؟ لقد صنعت له تمثال رجل او امرأة « لا اذكر » يسير ولكنه يلتفت وراءه يحسد الرجل الذي مر به ، يلتفت وقد زوى مابين حاجبيه . الخطايا السبع !! محاولات ، ناجحة ، لتجسيد مفاهيم معنوية لا تعبيرات حركية !

وجلست قليلا ، ونهض يحيى حقي واحضر شيئا من انتاجها ، وكنت اعبر عن اعجابي بالكلام ، فيترجمه يحيى حقي الى الفرنسية .. أحسست بسعادة : فنان متزوج من فنانة ، واجمل من هذا ان كلا منهما يمارس فنا مختلفا ، وبذلك يحس كل واحد منهما بالمشاركة والعزلة في نفس الوقت . انني لا اتمنى ـ اذا كنت اكتب مسرحيات ـ ان تكتب زوجتي مسرحيات . افضل ان تقرض الشعر او ترسم . حينئذ تتحقق الالفة والمشاركة في الفن ، بمعناه العريض ، وتتحقق في نفس الوقت تلك العزلة ، وذلك التفرد الذي لابد ان يحس به الفنان حتى يستطيع ان يبدع عن ثقة .

ونقلت خواطري الى يحيى حقي في صوت مهموس ، وابتسم .. وخيل الي ان ابتسامته تؤمن على كلامي .

جلست عنده طويلا .. وظل يتحدث .. ولكنه ترك لي فرصة كبيرة للكلام . ويبدو ان يحيى حقي ينصت اكثر مما يتكلم .. ينصت ويستوعب ويتاملك طويلا وانت لاتدري .. وقد تدخل ـ وانت لاتدري ايضا ـ في احدى قصصه القصيرة المقبلة .

القاهرة — **محمد عبد الله الشفقي**

صدر حديثا

تأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

- لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل
- خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .
- مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلكة الجفاف الاكاديمي .
- كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب